

إقبال الأعمال

[253] بين أهل مكة وبين رسول الله صلى الله عليه وآله عداوة قبل رسالته، ولا بينهم وبينه قتل ولا دماء قد سفكها، تمنع طبعاً وعقلاً من قبول نبوته. وأما مولانا أمير المؤمنين عليه أفضل السلام، الذي نص الله جل جلاله عليه على لسان رسوله عليه اعظم الصلاة والسلام في يوم الغدير، فإن أهل الإسلام كانوا قد اتسعت عليهم شبهات العقول والاحلام وتأويل ما يقدرون فيه على التأويل، وكان مولانا على عليه السلام قد عادى كثيراً في الله جل جلاله وفي طاعة الرسول الجليل، فسفك دماء عظيمة من أسلافهم وعظمائهم وأمثالهم، وسار مع رسول الله عليه السلام سيرة واحدة في معاداة من عاداه من أول أمره إلى آخره، من غير مراعات لحفظ قلوب من كان عاداه من رجالهم، وظهرت له من العناية والكرامات ما اقتضت حسد أهل المقامات. فحصل لامامته من المعاداة والحسد له على الحياة ونفور الطبايع، بأنه ما يسير إلا سيرة واحدة من غير مداهاات زيادة على ما كان عند بعثة النبي عليه أفضل الصلوات، بلغ الأمر إلى ما قدمناه قبل هذا الفصل من العداوات. فصل: ولقد حكى أبو هلال العسكري في كتاب الأوائل، وهو من المخالفين المعاندين، كلاماً جليلاً في سبب عداوة الناس لمولانا على بن أبي طالب عليه السلام فقال في مدح أبو الهيثم بن التيهان أنه أول من ضرب على يد رسول الله صلى الله عليه وآله في ابتداء أمر نبوته، ثم قال بإسناده إلى أبو الهيثم بن التيهان أنه قام خطيباً بين يدي أمير المؤمنين على بن أبي طالب فقال: إن حسد قريش إياك على وجهين: أما خيارهم فتمنوا أن يكونوا مثلك منافسة 1 في الملأ وارتفاع الدرجة، وأما شرارهم فحسدوا حسداً أثقل القلوب وأحبط الأعمال، وذلك أنهم رأوا عليك نعمة قدمها إليك الحظ وأخروهم عنها الحرمان، فلم يرضوا أن يلحقوا حتى طلبوا أن يسبقوك، فبعدت والله عليهم الغاية واسقط المضمار. فلما تقدمهم بالسبق وعجزوا عن اللحاق بلغوا منك ما رأيت، وكنت والله أحق

1 - نافس فلانا في أمر: فاخره وباراه فيه.